

قراءة: في كراسات التدريب (بخبب محفوظ)

بعض قراءات محفوظ في الأدب الروائي خاصة (3)

بقية ص 110 من الكراسة الأولى (5)

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD020513.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

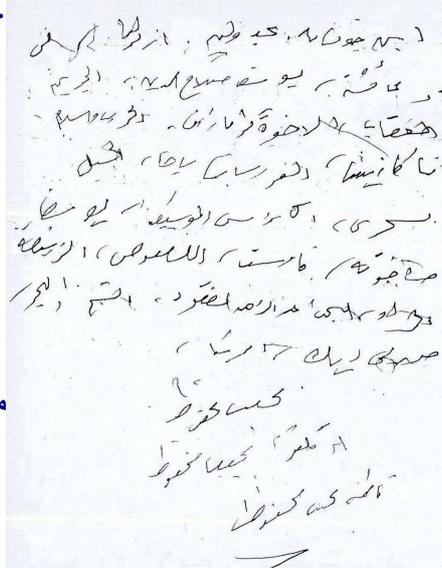
mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2013/05/02

السنة السادسة - العدد: 2071



.....
.....
الحرب والسلام،
أنا كارنينا، الفرسان دوما، الجبل
السحري، الكراسى الموسيقية، يوسف
وأخوته، فاوست، اللصوص، الزنقة
السوداء البحث عن الزمن المفقود، الشيخ والبحر
موبى ديك (ك.غ.؟؟ ربما: جرتيا
نجيب محفوظ
أم كلثوم نجيب محفوظ
فاطمة نجيب محفوظ



مقدمة:

نعم، فجأة طفت على سطح وعى شيخنا كل هذه الأعمال الإبداعية معاً، ولدراسة العلاقة بينها يحتاج الأمر لقراءة هذه الصفحة وما تثيره من تداعيات إلى كتاب بأكمله.
ما علينا، حاولت أن اجمع بين أي منها وأي منها فلم أستطع إلا أن أصفها بالأعمال الخالدة. أتممت نشرة الاسبوع الماضي بفهرست محتويات لهذه الصفحة سوف أحاول أن أتبعه رحمة بي. سوف أترك البند "أولاً" الآن لأن رواية "الزنقة السوداء" التي فككت شفرتها الاسبوع الماضي في آخر لحظة تأتي متأخرة في الترتيب، وسوف أبدا بـ "ثانياً" فأجمع تولستوى مؤلف "الحرب والسلام" و"أنا كارنينا" إلى جيته وعمله في "فاوست"، وما يربط بين المؤلفين من بعد إيماني وحسب نص الخاتمة: "مع هامش عن زعم إسلام الواحد تلو الآخر وعلاقة ذلك - من وجهة نظري - بنوعية إسلام شيخى محفوظ.

القراءة:

أولاً: "الحرب والسلام":

أتذكر أنني قرأتها وربما قدمناها في إحدى ندواتنا الثقافية بالمقطم، لكنني لم أكن شخصياً مقدم الندوة، ولم أكتب عنها نقداً ممنهجاً برغم أنني أذكر أنني أعجبت بها إعجاباً شديداً، طلبت من سكرتاريتي أن يبحثوا لي عنها في مكتبتى لأرى ماذا خطت فيها (ماذا همست في هوامشها أثناء

قراعتى لها) [1]) لم أجد نسختى المخططة للأسف، وأنا فى عجلة من أمرى ولا أريد أن أطيل أكثر فى قراعتى لهذه الصفحة الدسمة، فطلبت من سكرتاريتى أن ينزلها لى من على "النت"، ففعل وإذا به يتحبنى بنسخة PDF مجاناً ثم إنها بترجمة عربية مقابل الترجمة الانجليزية فى نفس الصفحة، ففرحت، ودعوت لصاحب الفضل (سيدنا جوجل)، وإن كنت لم أتعرف بعد على المترجم إلى العربية فى هذه النسخة، كما دعوت لشيخى وهو يذكرنى بما نسيت ويدعونى إلى مائدته الثقافية هذه مجاناً كل اسبوع، بل ويتيح لى الفرصة أن أقارن الترجمتين كما ألمحت الاسبوع قبل الماضى فى قراعتى عينة من ترجمات كارامازوف للفرنسية والانجليزية والعربية، ربنا يخليك يا شيخى الغالى، ثم اسمح لى مؤقتاً أن أكتفى بأن أقدم للأصدقاء المحيطين بنا الخطوط العريضة لهذه الرواية "الحرب والسلام".

ابتداء: العنوان غير معرف فهو بالانجليزية Peace and War كما أن الشائع عنه بالعربية كما كتبتة أنت أنه "الحرب والسلام"، لكنه فى النسخة التى حصلت عليها الآن هو "حرب وسلم" وهناك فرق، لكننى وجدت التعديل مطلوباً ومقبولاً، وفرحت بالتصرف (ولن أذكر الاسباب) وقد نشرت الرواية أول مره من سنة 1865 إلى سنة 1869 فى مجلة المراسل الروسى (بالروسية) وهى تروى قصة المجتمع الروسى فى عهد نابليون. بين أحداث الحرب والسلم، وتدور أحداث الرواية التى دمج تولستوى فيها شخصيات عديدة، رئيسية وثانوية، تاريخية وأخرى خيالية، ابتدعها تولستوى نفسه. كما تعطى صورة واسعة وموضحة لحياة الترف التى عاشتها طبقة النبلاء فى روسيا فى عهد الحكم القيصرى. وهناك من يعتقد بان الشخصيات الرئيسية مثل كيبير بزوكوب، والامير أندرى تمثل أوجه مختلفه فى شخصية تولستوى نفسه.

ثانياً: انا كارنينا:

هى رواية فريدة توصف بأنها أثر أدبى عالمى وإنسانى خالد، ترجم إلى معظم لغات العالم، وأعيد طبعه مئات المرات. وقد تباينت آراء النقاد فى هذه الرواية، فوضعت فيها دراسات كثيرة، كما أعجب بها البعض إعجاباً شديداً ورأى فيها عصاره فن تولستوى وخاتمة أعماله الكبرى.

تولستوى يقدم لنا من خلالها طبيعة النفس البشرية وخاصة من حيث أنه لا توجد أية شخصية خيرة تماماً، وأخرى شديدة قلباً وقالياً، حيث كل من فى الرواية مثير للشفقة وكلهم أنانيون، وكل منهم كان له المبرر المقنع والمنطقى لما قام به. كما أن تولستوى لا يخفى موقفه الإيمانى والأخلاقى من حيث أنه يرى أن التمسك بالتعاليم الدينية هو المخرج الأفضل، لكل ما يواجهه الفرد من أحداث،

هنا توقفت لأرجع إلى موقف تولستوى من الدين والإيمان وهو يحرك فى ما وصلنى من موقف شبخى محفوظ، وهو موقف جوهرى إنسانى إبداعى إيمانى بامتياز، وأتوقف أكثر عند مناقشة احتمال إسلام جوته، ولكن قبل أن أتطرق إلى مناقشة هذا أو ذاك أود أن أعلن موقفى وتحفظى على هذه الفرحة الغامرة (المُخجلة) التى تغمر بعضنا - نحن المسلمين - حين يُسلم واحد "خواجه"، فما بالك لو كان مبدعاً مشهوراً، أو فيلسوفاً أو مفكراً (وما علينا ألا يزكى) ذلك أننا بدلاً من أن نتأمل ما جذب هذا المبدع الفذ للإسلام الأصل الجوهر الحقيقى، نبادر بالتهليل أنه ظهر الحق!!، ليثبت أن الاسلام هو الدين الحق!! وكأن كل ما هو غير ذلك باطل [2]).

إن من يعرف جوهر الإيمان وكيف تجلى بفضل الله فى أديان متلاحقة يمكنه أن يفهم هذه النقالات الجادة فى المعتقد، خبرة الإيمان إلى وجه الله التى عاشها بعض الذين استطاعوا أن ينظروا بموضوعية كافية، ومسؤولية قادرة، وشجاعة مبادرة إلى موقفهم مما يصل إليهم، هى خبرة عامة لكل من ألقى السمع وهو شهيد، والشرفاء منهم يعلنون ببساطه أنهم وجدوا ما وصل إليهم من هذا الدين أو ذاك أقرب إلى ما تحرك به وعيهم إلى تحقيقه فى تناغمه على طريق السعى إلى الحق تعالى، وعلى ذلك فإن إسلامهم ليس دليلاً فريداً يثبت صحة ديننا وأنه من لدن عزيز حكيم، ولكنه دعوة لأن نرجع

إلى أصول ديننا لنرى فيه ما رأوه وطمسناه نحن غالباً.

أما أن يقفز إلى ظاهر وعى شيخنا كل من تولستوى (الحرب والسلام، أنا كارنينا)، وجيتيه (فاوست) فقد يرتبط ذلك (أولاً يرتبط) [3] بموقفه الشخصى المسلم الصادق من دينه الحنيف كمُنطلق، وحق، ومصدر هداية، وتوير، وإبداع، الأمر الذى تطرقت إليه فى حوارى معه فى كتابى الأول "فى شرف صحبة نجيب محفوظ" كما ورد فى نشرة 11-2-2010، وأجدها فرصة أن أقتطف بعض ذلك توضيحاً لهذه النقطة:

المقتطف: الأحد اللقاء يوم 8/1/1995، نشرة: 11-2-

2010

..... استفسرت منه عن رأى قرأته له، وهو الرأى الذى أرسله لندوة - "تحو مشروع قومى حضارى" والذى عقد بالأهرام هذا الرأى يقول فيه إن السبيل إلى نهضتنا هو الإسلام، فقال لى إنه قال ذلك رابطاً إياه بأن يتم هذا فى حوار مع معطيات العلم والآراء الأخرى، فذكرته أن استعمال كلمة الإسلام تعنى عند كل واحد معنى مختلفاً عن ما تعنيه عند الآخر، وأنى أجادل إبني وزملاءه منذ عامين على التزامى الإسلامى وأنى مدين للغتى ودينى بكثير من أفكارى بل وإبداعاتى فى كثير من المجالات، ثم سألته مرة أخرى عن كلمته التى أرسلها لهذه الندوة فى الأهرام فحكاها لى واضحة مؤكدة، وسألنى بدوره وهل كنتَ مشاركاً فى هذه الندوة؟ فأجبت بالنفى، لكننى أردفت أن بعض المشاركين قد التقيتهم مساء نفس اليوم فى اجتماعنا فى لجنة الثقافة العلمية فى المجلس الأعلى للثقافة وسألتهم عن كلمته قبل أن تنشر فقال لى د. ميلاد حنا (وكان أحد حضور الندوة) ما طاشفتيه أن الكلمة كانت ماسخة، وأنى لم تقل فيها إلا "أنى مسلم"، وكأنك تتحفظ مترجعاً، وذكرت له شعورى الراض هذا الاختزال، وخاصة بعد ما قرأت تفاصيل الكلمات فى أهرام الجمعة التالى، ومن بينها كلمته الشاملة، وهى غير هذا الاختزال المخل الذى أبلغنى إياه د. ميلاد، تعجب الأستاذ، وصمت كما يفعل حين يفاجأ بما يحتاج إلى تفكير، وقال "ماذا يريدون؟ وكأن الأقلية تريد - لى تشع بالأمان - أن تكفر أربع وخمسين مليون بنى آدم، إنهم رغم ذكائهم أغبياء، هل هذا هو ما يتصورونه سيلاً لأمانهم؟ إن الأمان لا يأتى إلا حين يمارس الناس ما "هم"، وأغلب الناس فى مصر مسلمون، فليمارسوا إسلامهم، وحين يمارسونه بطريقة صحيحة، فإن الأمان سيعم كلا من الأغلبية والأقلية، ولا يوجد سبيل آخر".

هذا هو إسلام محفوظ فماذا عن إشكال إسلام تولستوى (ثم جيتيه) (وجارودى بالمرّة)، أعتقد أنه قد يثبّت أن المسألة أساساً هى: نقاء وعى، وموضوعية موقف، وأمانة حمل الرسالة، وحدّة إدراك، ودوام سعى، وثراء إبداع. ولم أجد فيمن كتب عن إسلام تولستوى رحابة صدر تولستوى نفسه، وإنما كل واحد اقتطف من كلماته ما يؤكد أنه أشهر إسلامه سرّاً (كأن هذا جائز)، لم ينتبه كثير منهم إلى أنه بدأ تحرير فكره بمعارضته الكنيسة الأرثوذكسية فى روسيا، (وليس الديانة المسيحية نفسها، التى لا بد وأنها لا تختلف فى جذورها النقية عن الإسلام!) وأن تولستوى كان أعمق وأشجع من هذا الاختزال والتمحك، وأنه حين قارن لم يقارن الإسلام بالمسيحية وإنما قارن ما وصله نقياً من

الإسلام بـ "الدين المسيحي الذي تقدمه الكنيسة" واعترفَ بتفوق هذا على ذلك "بدرجة لا يمكن قياسها". حين قال: "لو وضع أمام أى شخص حرية الاختيار بين الدين الإسلامى وبين مسيحية الكنيسة لكان على كل شخص عاقل أن يختار الدين الإسلامى.. إلخ" (لاحظ قوله: مسيحية الكنيسة لا مسيحية ربنا، أو سيدنا عيسى عليه السلام) إلى أن قال: "إن كل فرد من الأفراد، بل إن الإنسانية جمعاء وكذلك الشعور الدينى الذى يشكل قاعدة حياة الناس يتجه نحو التكامل ونحو النضوج وكل شئ فى الحياة يتطور ويتكامل، أما تطور الدين وتكامله فيتم باتجاهه نحو النقاء والبساطة، إلى أن قال أيضا: "... لقد سعى جميع مبلغى الأديان وواضعو أسسها منذ القدم إلى تطهير الحقائق الدينية..."

لن أتطرق إلى نظرتي عن "الأسس البيولوجية للأديان والغريزة الهارمونية للتواصل بين مستويات الوعي" وقد ناقشتها كثيرا مع شيوخى، وكان يتقبل رأيتي بحذر وسماح ولا يتردد فى أن يحذرني من استعمال كلمة غريزة فى هذا المقام.

فإذا انتقلنا إلى إسلام "جوته" (بمناسبة ذكر "فاوست" التى سنعود إليها) فسوف نجد نفس الموضوعية والأمانة والشجاعة جميعا، ولكن للأسف حين أثيرت القضية رحنا نثبت إسلامه هو الآخر أكثر من تتبع مسار كدحه نحو ربه حتى آمن، بعضنا أخذ من أقواله ما يشبه "التناص" مثلا فعمل عبد الرحمن صدقى وهو يقتطف منه فى كتابه "الشرق والغرب فى أدب جوته"، يقتطف قول جوته فى الديوان الشرقى "لله المشرق والله المغرب"، وفى راحتيه الشمال والجنوب جميعا. هو الحق، وما يشاء بعباده فهو الحق، سبحانه له الأسماء الحسنى، وتبارك اسمه الحق، وتعالى علوا كبيرا". وقوله أيضا: "لم لا اصطنع من التشايبه ما أشاء، والله لا يستحى أن يضرب مثلا للحياة بعوضة"... إلخ. وأعقب أنا الآن قائلا: إن هذا "التناص" لا يدل إلا على ما يدل عليه "التناص" لو سمحتم.

أما عن "فاوست"، وقد جاء ذكرها متأخرا نسبيا فى هذه الصفحة، فقد هدتني المناقشة حول ذلك إلى معرفة مقدار إعجاب جوته بالتصوف وهو الأمر الذى يذكرنا بإسلام جارودى، وإعجابه بابن عربى، بعد ما وصله من الجندى الجزائرى المتعلم البسيط ما وصله حين امتنع عن إعدامه رميا بالرصاص فمارس إسلاميا عملا أخلاقيا مسؤولا عن الحياة للحياة وخالقها، وقد أعجب جوته أيضا بمجاز "سعدى" الذى يشبه الصوفى بـ "البعوضة العاشقة" التى تطير نحو الضوء القاتل لتهلك فيه. راجع بهذا الشأن خاصة قصيدته التى نشرها فى ديوان "الحنين المبارك"، حول الفراشة التى تطير نحو الضوء. وقد أطلق على تلك القصيدة اسمان وهما "التضحية بالذات" و"الكمال".

لكن هذا فى ذاته ليس دليلا على إسلام جوته، فإن هذا التشبيه وارد فى أى شعر وفى أى تشكيل، فقد ورد مثلا فى شعرى العامية:

نوركم جامد يعمى عنيه، زى فراشه تحب النور، تجرى عليه، وتحوم حواليه وتموت فيه،

ترقص قبل ما تطلع روحها، آه يا حلاوه النور موتتى.. هو النور بيموت برضه إلا الضلمه؟

بعدها نور الفجر يبشرق من جواى... إلخ

وفى الفصل الذى ورد فى الديوان حول جلال الدين الرومى وصف جوته دعاء الله وبركته فقال: "إن ما يُسمى بالإكليل الوردى المحمدى، والذى يتم تعظيم اسم الله فيه بتسع وتسعين صفة، لهو ابتهاج جدير بالثناء. إن كلا من الصفات المؤكدة والنافية تدل على كائن يستحيل إدراكه؛ فيصاب العابد بالدهشة، ثم يستسلم ويستريح".

فى هذه الجملة الأخيرة موجز لعشرات (الصفحات التى كتبتها عن الطريق إلى معرفة الله، مع التحفظ على جملة "يستحيل إدراكه" فلعله يقصد بذلك "يستحيل إثبات وجوده بالتفكير"، لأن هذا العجز فى اللغة الانجليزية هو الذى جعلنى أرفض ترجمه إدراك بالعربية إلى Perception وفضلت أن أقم لفظ Idrak إلى الإنجليزية باعتبار أننى لم أجد ما يقابله فى الإنجليزية، فاستحالة إثبات الله

بالمنطق والتفكير تؤدي إلى الدهشة المعرفية ثم هي تتشط الإدراك فالكبح المعرفي إلى وجهه تعالى، ونحن إذ ذاك لا نسلم ونستريح، بمعنى الطمأنينة الاستراتيجية ، وإنما بمعنى اليقين الذي يطمئن كل من انفصل عن أصله أنه يطلب أيام وصله.

كل هذا يرجعنا إلى إسلام محفوظ الذي أرجع إيداعه إلى فضل حضارته (مع الحضارة المصرية)، وأيضا إلى تصوف محفوظ الذي لم يعترف به مباشرة أبدا برغم أن مريده الصديق د.زكى سالم دارس الفلسفة (الغزالي/ ابن العربي) عدّه متصوفا فذا، ربما باعتبار أن أعلى مراتب التصوف هو ألا تكون متصوفا.

وإلى الاسبوع القادم في نفس الصفحة مع الكسندر دوماس وقد ورد له عملاق في قراءات محفوظ في هذه الصفحة أيضا وهما "الفرسان الثلاثة" و"الزنيقة السوداء".

[1] - كعادتي سواء قمت بالنقد أم لا مما يضيق منه من يقرأها بعدى وخاصة زوجتي دنت نتج بأنني بذلك أكون وصيا على من يقرأ بعدى، فأرد بأن على من يريد أن يتخلص من حضوري أن يتبع له نسخته يشتري له نسخة خاصة.

[2] - أثناء كتابه هذه النشرة 22-4-2013 قرأت في الصفحة الأولى لصحيفة المصري اليوم أن "أرنولد فاندور" عضو حزب الحرية اليميني الهولندي، منتج فيلم إهانة الرسول عليه الصلاة والسلام، قد دخل الاسلام وزار الحرمين الشريفين وبكى واعتذر، والله أعلم بما وراء كل ذلك!!؟

[3] - بدليل حضور الآخرين بنفس الحجم والعبقرية

*** **

ARABPSYNET PRIZE 2013

جائزة بيك الرخاوي لشبكة العلوم النفسية العربية 2013

مخصصة هذا العام للطب النفسي

pdf.www.arabpsynet.com/Prize2013/APNprize2013

في الذكرى العاشرة لتأسيسها (جوان 2013)

الشبكة تسعى لتكريم مجموعة من العلماء بإسنادهم لقب

"الراسخون في العلوم النفسية"

www.arabpsynet.com/Documents/Doc.TurkyPsyExcellent.pdf

*** **

للتسجيل في وحدة الدراسة و البحث في الإنسان و التطور

ارسل طلبك الى بريد الشبكة

arabpsynet@gmail.com

مصحوبا بالسيرة العلمية

<http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm>

كامل نشراته " الإنسان و التطور " (اليومية) على الويب